مصطلح الحذف في التركيب الاسمي ودلالاته في سورة آل عمران

The term of ellipsis the nominal composition and its signification in the Quranic verse. ali imrane

*د. حمزة دحماني

المركز الجامعي ، مغنية (الجزائر)، drdahmani1976@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/27 تاريخ القبول: 2023/09/07 تاريخ النشر: 2023/12/17

ملخص:

تسعى هذه الدراسة لمعالجة ظاهرة الحذف في التركيب الاسمي ،و الذي تشترك فيها اللغات الإنسانية،لكنها في اللغة العربية أكثر ثباتا ووضوحا،وذلك أن العرب نفرت ممّا هو ثقيل في لسانها ومالت إلى ما هو خفيف.

وقد حاولت جهد الطاقة الوقوف على مفهومها كما وقرت في تصور اللغويين متخذا القرآن الكريم مجالا للتطبيق، حيث سعيت إلى تتبع هذه الظاهرة اللغوية في كتب السلف متحريا الترتيب الزمني والتنويع المكاني في التعامل مع النصوص التي شرحتها قدر المستطاع.

كلمات مفتاحية: مصطلح، الحذف ، التركيب الاسمي ، الدلالة ، القرآن الكريم.

Summary :

This research aims at shedding light on the phenomenon of ellipsis in the nominal composition that is a common point in all human languages. However it is more constant in the Arabic language because the Arabs wanted to go beyond what is heavy in their tongue and preferred what is lighter.

They made their deep best in identifying the concept of ellipsis taking in consideration the opinion of the accidental researchers and studying the holy Quran as a field of practice. Thus, I followed this linguistic phenomenon through time and place within the textsanalysis and explanation.

Key-words:

Term; ellipsis; the nominal composition; semantics; the Holy Quran.

***المؤلف المرسل**: د. حمزة دحماني، **الإيميل**: drdahmani1976@gmail.com

1. مقدمة:

اللغة العربية ظاهرة اجتماعية يعبّر بها العرب عن أغراضهم، فتخضع بذلك لقوانين التطور والارتقاء بمعاني الألفاظ ، وتوجد فيها ظواهر كغيرها من اللغات الحية، ومن أبرز هذه الظواهر ظاهرة الحذف ، التي وجدت فيها العربية ما يتناسب مع طبيعتها، التي تميل إلى الفصاحة والبلاغة والإيجاز والاختصار، فكانت هذه الظاهرة أوضح ما تكون في اللغة العربية .

وعلى الرغم من وجود ظاهرة الحذف في كثير من اللغات إلا أنّها أكثر وضوحا في العربية ، ومرد ذلك إلى أنّ العرب كانوا يميلون إلى الخفة في كلامهم حبًّا في استعمال الخفيف من الألفاظ ، وينفرون ممّا هو ثقيل على لسانها، فكانوا يحذفون من كلامهم لغايةٍ ما اعتماداً على القرائن المصاحبة حاليةً كانت أم عقلية أم لفظية، كما قد يعتري الحذف بعض عناصر الكلمة الواحدة فيسقط منها مقطع أو أكثر سميت بالظاهرة لوضوحها في اللغة العربية، لأنّ العربية في خصائصها الأصيلة تميل إلى الإيجاز.

ونظرا لكل هذا ارتأيت أنْ تكون هذه الدراسة موسومة بـ: "مصطلح الحذف في التركيب الاسمي ودلالاته في سورة آل عمران "، متّخذا القرآن الكريم مجالا للتطبيق ، محاولا الكشف عن ارتباط دلالة الحذف بالسياق ،ومن ثمّة انبثقت جملة من التساؤلات على النحو الآتي:

ما المقصود بالحذف ؟ ،و ما هي أنواعه في التركيب الاسمي؟ ما الغرض من الحذف؟، وأين تَمَثَّلَ الحذف في النص القرآني؟، أين يتجلى الحذف في سورة آل عمران وما آثاره الدلالية ؟

وسأتناول في هذه الورقة البحثية ظاهرة الحذف في العربية ،وأنواع الحذف مركزا على ركني الجملة الاسمية، ومن أجل الوصول إلى ذلك اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على الاستقراء والشمولية، وقد اقتضت خطة البحث أن تسير على النحو الآتي:

2. مفهوم الحذف في كتب السلف:

قبل الشروع في هذا المبحث لابد علينا أنْ نشير ولو بصورة وجيزة فيما يتعلق بالحذف،فالأصل في الكلام العربي أنْ يكون مذكورا«ولا يجوز حذفه إلا لقرينة حالية أو مقالية وإلاّ كان الكلام تعمية وإلغازا»[1]،ولهذا يعد الحذف خلاف الأصل[2]، ولقد فرّق النحاة بين العناصر الرئيسية في الجملة، والعناصر غير الرئيسية ،وأطلقوا على الأول مصطلح (العمدة)و يعد الجانب الهام في الجملة،وأطلقوا على الثانية مصطلح (الفضلة) إذْ يمكن الاستغناء عنها.

فالعمدة تمثل العنصر الرئيس والجانب الهام الذي يتوقف عليه فهم الموقف اللغوي،والذي يمثل المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية،والفعل والفاعل في الجملة الفعلية،وقد ذكر ابن جني(392هـ) في أول الأنواع الذي تحدث عنها في الباب الذي عقده بعنوان :"بابٌ في شجاعة العربية" قائلا: «قد حَذفَ العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه،وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته»[3]. أمّا عبد القاهر الجرجاني (471هـ) وضّح القيمة البلاغية للحذف حين قال:«هو باب دقيق المسلك،لطيف المأخذ،عجيب الأمر،شبيه بالسحر فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكْرِ،والصمتَ عن الإفادة أزيد للإفادةِ؛وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق،وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ:وهذه جملة قد تُنكِرْهَا حتى تَخْبُرَ،وتدفعها حتى تَنظُرَ»[4]،ويقول في موضع آخر ليحكم عليه بالحسن في المواضع التي يفهم عنها البلاغة: «ما من اسم أو فعل تجده قد حذف،ثم أصيبت به موضعه وحُذف في الحال ينبغي أن يُحذف فيها إلا وأنت تجد حذفَه هناك أحسنَ من ذكره،وترى إضمارَهُ في النفْسِ أولى وآنسَ من النطق به»[5].

ولقد أشار إلى أهمية الحذف ابن يعيش(643هـ) حين قال: «هو عبارة عما لا يسوغُ حذفه من أجزاء الكلام إلا بدليل»[6]،وموقف النحاة من قضية الحذف يمكن أنْ نستشفه من أقوال بعضهم ،فهذا ابن مالك(672هـ) يشير إلى القاعدة العامة للحذف بقوله:[7]

وحذف ما يعلم جائز كما *** تقول:زيد،بعد:من عندكما؟

وفي جواب:كيف زيد؟قل:دنفٌ *** فزيد استغنى عنه إذا عرفَ

يرى ابن مالك(672هـ) بأنّ الحذف جائز في كل ما يعلم،فقد يحذف المبتدأ وحده والخبر وحده شريطة أنْ يكون المحذوف معلوما،ولم يتأثر المعنى بحذفه،وضرب مثالا في البيت الثاني مفاده أنْ يسأل سائل:منْ عندكما؟فتقول :"زيد"،والتقدير:"زيد عندنا"؛فحذف الخبر وهو"عندنا"للعلم به[8].

ولقد رأى جلال الدين السيوطي(911هـ) «أنّ المراد من اللفظ على المعنى بقرينة حالية أو غيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق،فإنْ أتى باللفظ المطابق جاز وكان كالتأكيد،وإنْ لم يؤت به فللاستغناء عنه،وفروع القاعدة كثيرة منها حذف المبتدأ والخبر»[9].

وإذا أمعنا النظر في هذه النصوص لوجدناها تقرر القاعدة العامة وهي إذا دلّ دليل على المحذوف جاز الاستغناء عنه بالمنطوق[10]،ومن هنا يمكن أنْ يغيب كل منْ المبتدأ والخبر عنْ الكلام «إذا دل سياق الكلام وظروفه على الغائب دون وجوده، فيعتبر كأنّه موجود ذهنيا ليكمل هذا (العمل الذهني) الموجود الباقي منهما فتتم الجملة بالطرف المنطوق فعلا،والطرف المقدر ذهنيا»[11].

3.أنواع الحذف: يمكن تقسيم الحذف إلى نوعين، الحذف الواجب والحذف الجائز.

1.3 الحذف الواجب في التركيب الاسمي:

1.1.3 حذف المبتدأ وجوبا:يحذف كل من المبتدأ والخبر جوازا أو وجوبا في مواضع معينة؛فيجوز حذف أحدهما شريطة أن يدل عليه دليل وألا يتأثر المعنى ولا التركيب بحذفه،وتكاد كتب النحو تتفق على أربعة مواضع لهذا الحذف هي:[12]

*الموضع الأول:النعت المقطوع[13]إلى الرفع في مدح أو ذمٍّ أو ترحّم ومنْ أمثلة هذا النوع على الترتيب:"الحمدُ للهِ الحميدُ"،و"أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمُ"،و"اللّهمَ ارحمْ عبدكَ المسكينُ"،والمبتدأ في هذه الأمثلة محذوف وجوباً؛وذلك ناتج عن عدم تبعية الوصف هنا للموصوف،حيث جاءت كل من الصفات(الحميدُ،الرجيمُ،المسكينُ مرفوعة والتقدير:هو الحميدُ،و هو الرجيمُ،و هو المسكينُ)[14].

* الموضع الثاني:أنْ يكون الخبر هو مخصوص "نعم"أو"بئس"،والمراد به الاسم الخاصّ أو المحدد الذي تمدحه الجملة الفعلية أو تذمه،ويردُ بعد الفعل والفاعل أو قبلهما نحو:إذا أردنا أنْ نمدح زارع اسمه "حليم"نقول :"نعم الزارع حليم"،أو ذمّ صانع اسمه سليم نقول:"بئس الصانع سليم"،فالممدوح هو"حليم"والمذموم هو"سليم"،كل هذا يرد بعد الفعل والفاعل،وقد يرد المخصوص قبل الفعل والفاعل كما في قولنا:"حليم نعم الزارع"،و"سليم بئس الصانع"[15].

* الموضع الثالث:أنْ يكون الخبر نصا صريحا في القسم،وفي هذا يرى النحاة أنَّ الخبر إذا كان لا يحتمل إلا القَسَم وجب حذف المبتدأ كما في قول العرب:"في ذمّتي لأفعلنَ"والتقدير:"في ذمتي يمين، ميثاق،عهد"[16]،ولقد بين الأستاذ عباس حسن (1398هـ)سبب الحذف قائلا: «وإنّما كان حذف المبتدأ واجبا هنا لأنّه واجب التأخير بسبب تنكيره،وقد وجد ما يدل عليه عند حذفه؛وهو جواب القسم »[17].

* الموضع الرابع:أنْ يكون الخبر مصدرا نائبا مناب فعله،كأن يدور بينك وبين طبيب أو مهندس أو فلاح...كلام في عمله فيقول عنه"عمل لذيذ"؛أي "عملي عمل لذيذ"،ويرى عباس حسن أنّ «هذه الجملة في معنى جملة أخرى فعلية هي :"أعمل عملا لذيذا"»[18].

كما نعلم أنّ المصدر يكون منصوبا وفي هذا المثال جاء مرفوعا وحجتهم في ذلك«أنّهم قصدوا الدلالة على الثبوت والدوام فرفعوا هذه المصادر أحيانا وجعلوها أخبارا عن مبتدآت محذوفات وجوبا»[19]،هذا كله إذا كان الخبر مصدرا يقوم مقام فعله،أما إذا كان عكس ذلك نحو قوله تعالى: ﴿...فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[20] ،ونحو قول العرب:"سمع وطاعة"

فتغير الحكم[21]؛إذ يجوز أنْ يكون المحذوف هو المبتدأ ؛أيْ صبري هو صبر جميل،وأنْ يكون المحذوف هو الخبر؛أيْ:صبر جميل أحسن منْ غيره،أو أنسب لي[22]،كذلك الشأن بالنسبة للمثال الثاني.

ورد هذا النوع من الحذف 09 مرات في هذه السورة فمنه قوله تعالى:﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ ...﴾[23] فكيف خبر لمبتدأ محذوف ،بمعنى "كيف حالهم" دلّ على نوعه السياق،وقيل كيف في موضع نصب على الحال والعامل فيه محذوف ؛أي كيف تكون حالهم،أو كيف يصنعون ،أو كيف يكونون[24].

وقدّره الحوفي(430هـ) كيف تكون حالهم،فإنْ أريد كان التامة كانت في موضع نصب على الحال،وإذْ كانت الناقصة كانت في موضع نصب على خبر كان،والأجود أنْ تكون في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف يدل عليه المعنى[25].

ولقد خرج الاستفهام في هذه الآية عن معناه الحقيقي بقوله تعالى:﴿ فَكَيْفَ ﴾ إلى معنى التهويل والاستفظاع لما أعد الله لهم في يوم عصيب،وروي أنّ أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله ويأمر بهم إلى النار[26]، فالاستفهام هنا لا يحتاج إلى جواب،وكذلك الاستفهامات القرآنية لأنها من عَالِم الشهادة والغيب وإنّما استفهامه تقريع.[27]

والمتأمّل للآية: ﴿ .. لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[28] يلاحظ رد العجز على الصدر[29] ،فقد رد "العزيز"إلى تفرده بالوحدانية التي تقتضي العزة،ورد "الحكيم" إلى العدل التي هو القسط،وارتفع العزيز على أنّه خبر لمبتدأ محذوف،أيْ هو العزيز.[30]

ويرى الزمخشري(538هـ) أنّ "العزيز الحكيم"صفتان مقررتان لما وصف الله بهما ذاته من الوحدانية والعدل بمعنى أنّه« العزيز الذي لا يغالبه إله آخر،والحكيم الذي لايعدل عن العدل في أفعاله»[31]،وقيل بأنّ" العزيز الحكيم"هما الصفتان اللتان يمتنع حصول الإلهية إلا معهما[32]ومثل هذه الآية وردت مرتين في هذه السورة.

والشأن نفسه في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[33]؛إذْ الحي خبر لمبتدأ محذوف تقديره:"هو الحي القيوم"ومعناه أنّ الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء ، والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه[34].

ولو عدنا إلى قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ...﴾[35] فنجده يحتمل الوجهين إحداهما مبتدأ محذوف الخبر تقديره:"منها مقام إبراهيم"، وثانيهما خبر محذوف المبتدأ تقديره:"أحدها مقام إبراهيم"[36]، وفي هذه المسألة خلاف بين النحاة والمفسرين، فالزمخشري (538هـ) أعرب"مقام"عطف بيان من آيات[37]،وردّ عليه النحاة على أنّه خرق لإجماع النحاة الذين قرروا أنْ النكرة لا تبين بالمعرفة وجمع المؤنث السالم لا يبين بالمفرد المذكر،لذلك لا يجوز أنْ يكون بدلا منْ آيات،فآيات نكرة ومقام إبراهيم معرفة،وحكم عطف البيان عند الكوفيين حكم النعت فتتبع النكرة النكرة قبله والمعرفة المعرفة،أما عند البصريين فلا يجوز إلا أنْ يكونا معرفتين ولا يجوز أنْ يكونا نكرتين[38].

يقول الألوسي (1270هـ)في هذا المجال:«والأولى والأصوب في إعراب مقام إبراهيم أنْ يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أحدها؛أي أحد تلك الآيات البينات مقام إبراهيم أو مبتدأ محذوف الخبر تقديره :منها أيْ من الآيات البينات مقام إبراهيم »[39] ،وذكر المقام هنا لعظمته وشهرته عندهم ولكونه مشهدا لهم لم يتغير،وليذكرهم بدين أبيهم إبراهيم.

2.1.3حذف الخبر وجوبا: تتفق كتب النحو على ذكر أربعة مواضع مشهورة لهذا الحذف هي:

الموضع الأول:أنْ يقع الخبر كونا عاما والمبتدأ بعد"لولا"ا لامتناعية نحو:"لولا زيد لأكرمتك "والتقدير:"لولا زيد موجود أو كائن"،وقد التزم في ذلك حذف الخبر،للعلم به وسد جواب"لولا"مسده[40]،أما إذا كان الخبر دالا على معنى مقيد فوجب ذكره

إنْ فقد دليله نحو قولك:"لولا زيد سالمنا ما سلم"،وكذلك الشأن في قوله :[لولا قومُكِ حديثُو عهد بكفر لبنيتُ الكعبةَ على قَواعدِ إبراهيمَ][41]،وجاز فيه الوجهان-الذكر والحذف-إن دل عليه دليل نحو:"اضطرب البحر من شدة الهواء،فلولا الهواء شديد لما اضطرب"،فقد وقع"شديد"خبرا وهو كون خاص فيصح ذكره كما يصح حذفه لوجود ما يدل عليه عند الحذف.[42]ومنْ أمثلة هذا القبيل قول أبي العلاء المعري(449هـ):

يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ....فلولا الغِمدُ يُمسكُهُ لسلاَ

لقد ذكر الخبر في هذا البيت وهو جملة"يمسكه"وقد دل عليه الدليل، كما يمكن الاستغناء عنه لأن كلمة الغمد تدل على معنى الإمساك،لأنّ من شأن الغمد أنْ يمسك السيف ويحفظه[43].

الموضع الثاني:أنْ يكون المبتدأ نصا صريحا في القسم؛إذْ يدرك السامع أنّه قسم قبل أنْ يسمع المقسم عليه، كما في قوله تعالى:﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[44]، فقد ذهب النحاة إلى أنَّ الخبر في الآية محذوف وجوبا تقديره "قسمي"،وعَلَّلُوا الحذف بأنّه معلوم،وجواب القسم سد مسده ،ولا يجمع بين العوض والمعوض منه.[45]

وهناك سبب آخر قوي يحتم أنْ يكون المحذوف هو الخبر؛إذ إنَّ وجود لام الابتداء في أول كل اسم للقسم يدل على أنَّ المذكور هو المبتدأ لا غير،«لأنّ الغالب عليها أنْ تدخل على المبتدأ لا على الخبر،ليكون لها الصدارة الحقيقية التي هي من أحكامها»[46].

فإنْ كان المبتدأ عكس ذلك؛أيْ ليس بنصٍ صريح،نجده يكثر استعماله في غير القسم فلا يُفهَمُ من القسم إلا بقرينة ذكر المقسم عليه،وفي هذه الحالة لم يكن حذف الخبر واجبا وإنما يكون جائزا نحو:"عهدُ اللهِ لأفعَلنَّ"فعهد الله"كثر استعماله في غير القسم،والشأن نفسه في قوله تعالى:﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ... ﴾[47]،وقول العرب أيضا"عهد الله يجب الوفاء به"،أما إذا قلت:" عهد الله لأفعلن كذا"فالقسم قد فُهم لأنّك ذكرت المقسم عليه.[48]وهذا النوع يجوز فيه حذف الخبر كما في المثال السابق مثلما يجوز إثباته نحو:"عهد الله علي لأفعلن".

الموضع الثالث:أنْ يقع الخبر بعد معطوف بواو تدل دلالة واضحة على أمرين مجتمعين هما:العطف والمعية نحو:"الطالب وكتابه،الفلاح وحقله،الصانع ومصنعه"،لو تأملنا جملة" الطالب وكتابه"لوجدناها مركبة من مبتدأ وهو"الطالب"بعده واو تفيد أمرين هما:العطف والمعية،وبعد هذه الواو يجيء المعطوف على المبتدأ،ويشاركه في الخبر،ثم يجيء بعده الخبر،لكنّ الخبر في هذه الجملة محذوف يُفهمُ من الجملة؛وهو كلمة "متلازمان،أو متصاحبان،أو مقترنان".[49]

أما إذا كانت الواو ليست نصا في المعية فإنّ حذف الخبر جائز عند قيام دليل يدل عليه،وليس واجبا نحو:"الرجل وجاره،أو الرجل وجاره مقترنان"فالواو ليست نصا في المعية؛إذ الجار لا يلازم جاره ولا يكون معه في الأوقات كلها،ومن هنا جاز حذفه وذكره .

الموضع الرابع:الخبر الذي بعده حال تدل عليه،وتسد مسدّه من غير أنْ تصلح في المعنى لأنْ تكون هي الخبر نحو:"ضربي زيدا قائماً"،وذلك في كل خبر لمبتدأ مصدر وبعد هذا المصدر معموله ،ثم حال بعد المعمول تدلّ على الخبر المحذوف وجوبا وتغني عنه ولا تصلح في المعنى أنْ تكون خبرا لهذا المبتدأ،كما هو الحال في المثال السابق،"فضربي"مبتدأ وهو مصدر مضاف،والياء مضاف إليه،"زيدا"مفعول به للمصدر،فهو المعمول للمصدر،"قائما"حال سد مسد الخبر ولا تصلح لأنْ تكون خبرا لهذا المبتدأ؛إذ لا يقال"ضربي قائمٌ"،وإنما الخبر ظرف محذوف مع جملة فعلية بعده أضيف لها والتقدير:"ضربي زيدًا إذا كان قائماً".[50]

هذا النوع من الحذف في الجملة الاسمية لم يجد صاحب البحث فيما وصلت إليه يده من سورة آل عمران إلا آيتن نذكر منها قوله تعالى: ﴿ ...وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَاً بَعِيداً ...﴾[51]وقوله أيضا: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ ...﴾[52]،ففي الآية الأولى وجهان،فالوجه الأول جملة" أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَاً بَعِيداً"اسمية في محل رفع مبتدأ،والخبر محذوف تقديره:ثابت،والوجه الثاني أنها اسمية في محل رفع فاعل لفعل محذوف تقديره:ثبت[53].

وقيل بأنّ "لو"حرف مصدري وجوابها محذوف،لكن دخول الحرف المصدري على حرف مثله يؤدي إلى إشكال، يرى صاحب البحر المحيط أنّ«من يذهب إلى أنّ"لو"بمعنى "أنْ" وأنها مصدرية فهو بعيد هنا لولايتها أنّ وأنْ مصدرية،ولا يباشر حرف مصدري حرفا مصدريا إلا قليلا»[54]،والأولى أنْ تبقى«لو ،وأنْ حرف مشبه بالفعل مصدري وبينها ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم لأن،وبينه عطف على الظرف،ويكون جواب لو محذوفا تقديره:لفرحت واطمأنت»[55].

وجاءت الآية على هذا النمط دالة على التمني ومعناه تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها من الخير أو الشر محضرة تود لو أن بينها وبين ذلك اليوم أمدا بعيدا،وذلك لغاية كمال فضاعة هذا اليوم ومطلعه[56].

أما الآية الثانية فالمبتدأ" إِلَهٍ "مجرور لفظا لأنه سبق بحرف جر زائد،والخبر محذوف تقديره:" وَمَا مِنْ إِلَهٍ لنا إِلاَّ اللَّهُ"[57]،ودخلت من الزائدة بعد حرف النفي تنصيصا على قصد نفي الجنس لتدلّ الجملة على التوحيد؛أيْ أنّ المختص بالإلهية هو الله وحده،وكذلك فيها رد على النصارى وغيرهم ممن ادعى غير الله إلاها[58].

2.3 الحذف الجائز في التركب الاسمي:

1.2.3 حذف المبتدأ جوازا:أجاز النحاة حذف المبتدأ جوازا لوجود دليل يدل عليه ولفهمه من السياق والمقام،ومن أشهر الحالات التي يحذف فيها هي:[59]

* أولا:إذا كان جوابا للاستفهام،مثال ما قاله النبي : [عن أبي هريرةأن رسول الله سُئل:أي العمل أفضل ؟فقال:إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا؟قال:الجهاد في سبيل الله.قيل :ثم ماذا؟ قال:الجهاد في سبيل الله.قيل:ثم ماذا؟قال:حج مبرور][60].فقوله:"إيمان بالله ورسوله"خبر المبتدأ محذوف تقديره:أفضل العمل،ويكون تقدير الكلام:أفضلُ العمل إيمانٌ بالله ورسوله[61]،ومن أمثلة هذا القبيل يقال:كيف الحال؟فيجاب "حسن"،فكلمة "حسن"خبر لمبتدأ محذوف تقديره:"الحال حسن"،فيحذف المبتدأ جوازا لوجود ما يَدُلّ عليه؛حيث لم تتأثر المعنى ولا التركيب بحذفه.[62]

* ثانيا:إذا كان المبتدأ بعد القول كما جاء في قول النبي :**[**فقال الرجل يا رسول الله :ألي هذا؟قال:لجميع أمتي كلهم**]**[63]،وتقدير القول:"هو لجميع أمتي كلهم".

* ثالثا:إذا كان بعد فاء الجواب نحو:قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[64]،والتقدير:عمله لنفسه وإساءته عليها.[65]

تردد هذا النوع من الحذف في سورة آل عمران 12مرة متخذا دلالات نخص منها بالذكر قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ...﴾[66]فنجد في هذه الآية ما يسمى "بالاحتباك":وحدّه أنْ يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول[67].

ويذكر الجرجاني(471هـ) شاهدا في هذا المجال فيقول: «علّفتهَا تِبنًا وماءً باردًا،أي علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا»[68].

إن المتصفح لكتب التفاسير يرى أنّ أبا حيان (414هـ)يشير إلى هذا النوع من الحذف دون أنْ يسميه ذلك في شرح الآيتين"38-39 من سورة البقرة"إذ قال: «فإنه حذف من الجملة الأولى شيء وأثبت نظيره في الجملة الثانية،ومن الثانية شيء أثبت نظيره في الجملة الأولى»[69].

ويطلق عليه الزركشي (794هـ)"الحذف المقابلي" فيقول: «هو أنْ يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه»[70].

فالاحتباك في الآية الكريمة هو فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت،فحذف من الأول ما يفهم من الثاني وحذف من الثاني ما يفهم من الأول[71]،فالناظر في مثل هذا الأسلوب يجده يشبه الميزان الدقيق والحساس وربما لهذا الغرض سمي به.

ومن الأمثلة الدالة على هذا حذف المبتدأ نحو قوله تعالى: ﴿... قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[72] ؛إذنْ فالمتأمل للآية يجد أنّ الله يفعل من الأفعال العجيبة ما يشاء كما فعل في خلق الولد مع العادة التي يستبعد معها الخلق بحسب العادة؛أيْ خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر[73].و الكلام في الآية يحتمل أوجها إعرابية متعددة منها:[74]

الوجه الأول:أنْ يكون الجار والمجرور"كذلك"متعلقان بمحذوف في محل نصب مفعول مطلق،والثاني أنْ يكون الجار والمجرور في موضع الحال من ضمير المصدر المقدر معرفة ؛ أيْ :يفعل الفعل كائنا مثل ذلك،والثالث :أنْ يكون في محل رفع على أنّه خبر مقدم،والله مبتدأ مؤخر ؛أيْ كهذا الشأن العجيب شأن الله تعالى وتكون جملة "يفعل ما يشاء"بيانا لذلك الشأن المبهم،وقدم الجار والمجرور لإفادة القصر بالنسبة إلى ما هو أدنى من المشار إليه،والرابع أنْ يتعلق"كذلك" بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف؛أيْ الأمر كذلك ،وإلى هذا الوجه ملنا لأنه يناسب ما نحن بصدده.

2.2.3 حذف الخبر جوازا:

وضع النحاة ضابطا لحذف الخبر جوازا مؤداه أنّ حذفه يكون عند وضوح المعنى المراد من خلال السياق وشرطه أمنِ اللبس بوجود الدليل الذي يدل عليه،ومن أمثلة هذا النوع أنْ يقال: من في الحقل؟فيجاب"علي"فكلمة"علي"مبتدأ مرفوع والخبر محذوف تقديره"في الحقل"؛إذ لم تتأثر المعنى والأسلوب بحذفه،وكذلك الشأن في قولهم:ماذا معك؟فيقال:"القلم"فكلمة "القلم"مبتدأ لخبر محذوف تقديره:"القلم معي".[75]

وقد يحذف المبتدأ والخبر معا إذا دل سياق الكلام عليهما كما في قوله تعالى: ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ... ﴾[76]،والمعنى المراد:واللائي لم يحضن فعدتهم ثلاثة أشهر،فحذف المبتدأ والخبر معا وهو:"فعدتهم ثلاثة أشهر"لدلالة ما قبلها عليها وفهمهما من السياق ،ومن أمثلة هذا أيضا:"من يخلص في واجبه فهو عظيم،ومن ينفع وطنه فهو عظيم،ومن يخدم الإنسانية..."أي فهو عظيم،فجملة"هو عظيم"مبتدأ وخبر حذفا معا جوازا.[77]

إن هذا القسم من الحذف يكاد ينعدم في سورة آل عمران لو لا وجود آية واحدة تدلّ على ذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ ...﴾ [78] ، المبتدأ هو الاسم الموصول"الذين"والخبر محذوف جوازا ذلك للعلم به والتقدير:" فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ فيقال لهم أَكَفَرْتُمْ"[79]، فحذف مقول القول لأن الاستفهام لا يصدر إلا من مستفهم،وذلك القول هو

جواب أمّا،ولم تدخل الفاء على"أكفرتم"ليتبين بأنّه ليس بالجواب وإنما الجواب حذف برمته ،كما أنّه يمنع حذف الفاء وحدها في جواب أما[80] .

والاستفهام في هذه الآية لا جواب له ،بل إنّه استفهام عن طريق التوبيخ والتعجيب عن حالهم والإرذال بهم[81]،ويقصد صاحب الكشاف أنّهم أهل الكتاب؛إذ أنّ كفرهم بعد إيمانهم تكذيب برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه،وقيل المقصود بتبييض الوجوه واسودادها وجوه المهاجرين والأنصار تبيض،وتسود وجوه بني قريضة والنضير لأنهم هم المرتدون،وقيل هم الخوارج[82] .

4. الخاتمة: بعد هذه الرحلة الشيقة في أعماق ظاهرة الحذف أود أن أذكر بإيجاز بعض النقاط التي توصلت إليها أثناء معالجتي لمسائل هذا الموضوع،وقد حصرتها فيما يلي:

– إنّ تعويض المحذوف وإبقاء ما يدلّ عليه بعد الحذف بحيث يحفظ المعنى من الالتباس والغموض دليل في لغة العرب على شجاعة المتكلم وقدرته اللغوية،وبرهان على أنّ الحذف ظاهرة وثيقة الصلة بالكفاءة،والتي تخضع لمنهج لغوي وتقنية تضبطها شروط وقواعد حتى لا يختل المعنى،حينئذ يفهم من التركيب الفرعي بعد الحذف ما يفهم من التركيب الأصلي قبله،وذلك بأنْ يفهم المعنى الثاني التي تحمله البنية العميقة للعبارة اللغوية ما يفهم من البنية السطحية.

– إنّ الغرض من الحذف لا يقتصر على تحقيق الإيجاز والاختصار فحسب،بل وسيلة تعبيرية اقتصادية،يُعدَلُ في تركيبها عن الأصل إلى بنية تركيبية أوجز لفظا وأغزر معنى؛إذ يعبر ظاهر اللفظ فيها عن دلالات معنوية أو نفسية أو عاطفية أو انفعالية أو اجتماعية...و بالتالي فهو لا يقل شأنا عن وسيلة الذكر المصرح فيها بكل عناصر الجملة في اللغة العربية.

– للحذف في القرآن الكريم هدف عام ،هدف تربوي فيه ينتبه المتلقي ويتجدد نشاطه بحثا عن المحذوف فإذا ما وصل إليه بنفسه استقر المعنى في ذهنه وهذا أصل من أصول التربية الحديثة.

– يجيء الحذف في القرآن في أتم صورة وفي أحسن موقع وبناء عليه فالمحذوف لا ينبغي إلا أنْ يكون محذوفا وما ورد ذكره في آيات مماثلة فبالتدبر نجد حتما ما برر ذكره فيها.

– ونعتقد جازمين أنّ هذا العمل ما هو إلا محاولة جادة نبتغي فيها المنفعة العلمية العامة،راجين من المولى عز وجل أنْ يتقبله وينفع به،فإنْ كان ما قدمناه صوابا فهو من الله وإنْ كان عكس ذلك فهو من أنفسنا،والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

5. المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1 الأندلسي أبي حيان، "البحر المحيط"، مطبعة السعادة،(مصر1328هـ).

2. الأنصاري ابن هشام،"أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"دار إحياء التراث العربي، (لبنان 1980).

3. الأنصاري ابن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" المكتبة العصرية ،(لبنان1995).

4. البغدادي الألوسي،"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"،دار إحياء التراث العربي،(لبنان .دت).

5. الجرجاني عبد القاهر، "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، المكتبة العصرية ،(لبنان 2003).

6. الجرجاني علي بن محمد بن علي،"التعريفات" دار الفكر،(لبنان 1405هـ).

7. ابن جني أبو الفتح عثمان،"الخصائص"،دار الكتب العلمية، (لبنان2003).

8. الدرويش محي الدين، "إعراب القرآن وبيانه"،دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (سوريا 1999).

9. الزركشي محمد بن عبد الله، "البرهان في علوم القرآن" دار المعرفة للنشر(لبنان 1391 هـ).

10. الزمخشري جار الله محمود،"الكشاف عن حقائق التنزيل وحقوق الأقاويل في وجوه التأويل"،دار المعرفة،(لبنان دت).
11. السيوطي جلال الدين، "الأشباه والنظائر في النحو"،دار الكتب العلمية، (لبنان 1984).
12. السيوطي جلال الدين،"همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"، دار المعرفة للطباعة والنشر(لبنان دت).
13. الشادلي أبو السعود حسنين،"المركب الاسمي الإسنادي وأنماطه"،دار المعرفة الجامعية،(مصر 1990).
14. ابن عاشور الطاهر،"التحرير والتنوير"المؤسسة الوطنية للكتاب،(الجزائر دت)،الدار التونسية للنشر، (تونس.د ت)
15. عباس حسن،"النحو الوافي"،دار المعارف للطباعة والنشر،(مصر 1975).
16. العبكري أبو البقاء، "إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن"،المكتبة العصرية،(لبنان 2002).
17. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر"فتح الباري بشرح صحيح البخاري"،دار المعرفة، (لبنان دت).
18. ابن عقيل بهاء الدين "شرح ابن عقيل"، دمشق دار الفكر، (سوريا 1985).
19. العمادي أبو السعود محمد بن محمد"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"،دار إحياء التراث العربي، (لبنان دت).
20. عيد محمد،" النحو المصفى"، مكتبة الشباب(مصر 1989).
21. الغزي محمد بن محمد،" إتقان ما يحسن على الأخبار الدائرة على الألسن"، دار الفاروق الحديثة، (مصر. دت).
22. نحلة محمود أحمد، "في البلاغة العربية–علم المعاني–"، دار العلوم العربية،(لبنان 1990).
23. ابن يعيش موفق الدين، "شرح المفصل"، مكتبة المتنبي، عالم الكتب،(لبنان. 1940).

6. الإحالات:

1- محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية"علم المعاني"،دار العلوم العربية، بيروت، ط1990/1 ،ص53.
2 - ينظر: محمد عيد، النحو المصفى ،مكتبة الشباب ،القاهرة،1989،ص231.
3- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص،تح:الدكتور عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/ 2003، ج140/2.
4- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، شكله وشرح غامضه وخرج شواهده الدكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ص177.
5- المصدر السابق، ص183.
6- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،دت، ج1/ص93.
7- بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل، تح:محي الدين عبد الحميد،دار الفكر،دمشق سوريا، ط2، 1985م، 1/ص 243،244.
8- ينظر : عباس حسن، النحو الوافي،دار المعارف للطباعة والنشر،القاهرة،ط3 /1975، ج1/ 508-509
9- جلال الدين السيوطي ، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1984/1 ،ج173/1 .
10- ينظر:أبو السعود حسنين الشادلي، المركب الاسمي الإسنادي وأنماطه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1/ 1410 هـ-1990 م، ص 67.
11- محمد عيد، النحو المصفى،ص231.
12- ينظر: ابن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، حققها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السيقا،إبراهيم الأنبا ري،عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط6/ 1980م، ج153/1، عباس حسن ،النحو الوافي:ج510/1 ،محمد عيد، النحو المصفى، ص231.
13- النعت المقطوع:هو الوصف الذي انقطع عن أصله،وتارك لاسمه الأول وحكمه السابق،ينظر:عباس حسن ، النحو الوافي:ج511/1
14- ينظر:المرجع نفسه:ج511/1.
15 - ينظر:المرجع نفسه:ج513/1.
16- ينظر:ابن هشام، أوضح المسالك:ج14/1،عباس حسن ، النحو الوافي:ج513/1.
17المرجع السابق:ج513/1 .
18نفسه:ج514/1.
19ابن هشام، أوضح المسالك:ج154/1.
20سورة يوسف :18
21ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك:ج153/1.
22ينظر:عباس حسن، النحو الوافي:ج514/1.
23سورة آل عمران:25

24ينظر:الألوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج113/3 ، وأبو البقاء العبكري، إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، راجعه وعلق عليه :نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ/2002م، ص119.

25ينظر: أبي حيان الأندلسي ، البحر المحيط، مطبعة السعادة، مصر، ط1/ 1328هـ، ج418/2.

26الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، دت،ج182/1 ،و الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، دت، ج211/3.

27ينظر: أبي حيان، البحر المحيط، ج418/2.

28سورة آل عمران:18.

29ينظر:محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن وبيانه، دارابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت– اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،بيروت، ط6 ، 1419هـ،1999م، ج408/3.

30ينظر:أبي حيان، البحر المحيط، ج406/2.

31الزمخشري، الكشاف،ج179/1.

32ينظر:أبي حيان، البحر المحيط، ج407/2.

33سورة آل عمران:2.

34ينظر:الزمخشري، الكشاف، ج153/1.

35سورة آل عمران:97.

36ينظر:الألوسي، روح المعاني، ج6/4 ،ومحي الدين الدرويش، إعراب القرآن، ج484/4.

37ينظر:الزمخشري، الكشاف،ج204/1.

38ينظر:أبي حيان،البحر المحيط،ج9/3.

39نفسه، ج9/3

40ينظر:أبو السعود حسنين الشادلي، المركب الاسمي الإسنادي وأنماطه،ص78

41ابن هشام، أوضح المسالك، ج156/1 ،وابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح:محي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1416هـ/1995م، ج604/2 .

42ينظر:عباس حسن، النحو الوافي، ج519/1.

43بهاء الدين بن عقيل، شرح ابن عقيل، ج251/1 .

44سورةالحجر:72

45ينظر:بهاء الدين بن عقيل، شرح ابن عقيل، ج253/1 .

46عباس حسن، النحو الوافي، ج520/1.

47سورة النحل،91.

48ينظر:ابن هشام، أوضح المسالك،ج158/1 هامش الصفحة.

49ينظر :عباس حسن، النحو الوافي،ج520/1.

50ينظر:ابن يعيش، شرح المفصل، مكتبة المتنبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1940م، ج96/1.

51سورة آل عمران، 30.

52سورة آل عمران، 62.

53ينظر:محمود الدرويش، إعراب القرآن، ج424/3.

54أبي حيان، البحر المحيط، ج430/2.

55محمود الدرويش، إعراب القرآن، ج424/3.

56ينظر:أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ج24/2.

57محمود الدرويش، إعراب القرآن، ج453/3.

58أبي حيان، البحر المحيط، ج2/ 482.

59ينظر:ابن هشام، مغني اللبيب، ج240/2 ،و عودة أبو خليل عودة، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف، دار البشير للطباعة والنشر، عمان، ط1/ 1411هـ ،1991م، ص:207.

60الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح:عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ج77/1.

61ينظر:المصدر نفسه، ج77/1.

62ينظر:عباس حسن، النحو الوافي، ج508/1.

63العسقلاني، فتح الباري، ج8/2.

64سورة فصلت، 46.

65ينظر:ابن هشام، أوضح المسالك، ج153/1.

66سورة آل عمران، 13.

67 محمد بن محمد الغزي، إتقان ما يحسن على الأخبار الدائرة على الألسن،تح:خليل محمد العربي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة ،ط1: 1415هـ، ج164/2

68علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الفكر،بيروت،ط1/ 1405هـ ، ج1 /25.

69أبي حيان، البحر المحيط، ج170/1-171.

70محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح:أبو الفضل إبراهيم ،دار المعرفة للنشر، بيروت،1391هـ، ج129/3

71ينظر: محمود الدرويش،إعراب القرآن،ج402/3 ،وعبد العظيم إبراهيم محمد المعطى خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية،مكتبة وهبة، القاهرة،ط1/ 1992 م،ج74/2.

72آل عمران:40

73ينظر: الزمخشري،الكشاف،ج188/1 ، محمود الدرويش،إعراب القرآن،ج435/3، وأبي حيان، البحر المحيط،ج450/2، والألوسي، روح المعاني،ج150/3،والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج242/3.

74ينظر:الألوسي، روح المعاني،ج150/3، و الدرويش، إعراب القرآن، ج435/3 ، وأبي حيان، البحر المحيط،ج451/2

75ينظر:عباس حسن، النحو الوافي،ج507/1-508.

76الطلاق:4

77 ينظر:عباس حسن، النحو الوافي،ج508/1.

78آل عمران:106

79العبكري، إملاء مامن به الرحمن ،ص:133،وأبي حيان،البحر المحيط، ج 22/3.

80الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير،ج45/3.

81ينظر:الألوسي،روح المعاني،ج25/4،وأبي حيان،البحر المحيط،ج24/3 .

82ينظر:الزمخشري، الكشاف،ج209/1.